

جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية وآدابها
قسم الأدب - انتساب

مذكرة الأدب الحديث (٥٠٣٣٩٨-٥٠)

انتساب

أستاذة المقرر :

أ/ غدير الحزمي

للتواصل: gshazmi@uqu.edu.sa

نشأة الأدب الحديث :

اختلف الباحثون حول التحديد التاريخي لنشأة الأدب الحديث على ثلاثة آراء :

الرأي الأول :

من رأى أن غزو نابليون لمصر الذي مثل التماس الحضاري المباشر بين العرب والغرب يمثل البداية الحقيقية لعصر النهضة متكئين في ذلك على عدة ظواهر :

١. لم يكن نابليون مجرد غازٍ عسكري فحسب بل كان يحمل معه كل عُدد الغزو الحضاري والثقافي .

فقد حاول أن يستغل بمظلة الإسلام في البداية ، ثم بدأ يبيث معطيات حضارية وثقافية غربية ، فأنشأ مسرحاً للتمثيل تمثل فيه رواية فرنسية جديدة كل عشر ليالٍ كما أدخل المطبعة ، وأنشأ مصنعاً للورق ، وأصدر صحيفتين ، وأسس مرصد فلكية ، ومركزاً للأبحاث ومعملاً للتصوير ، ومكتبة عامة جمع العديد من كتبها من المساجد والأضرحة بالإضافة إلى كتب عربية أخرى و فرنسية ، وأنشأ مجعاً علمياً مصرياً من أهم أهدافه : نشر العلم و المعرفة كما زعم، ودراسة القضايا المتعلقة بعلوم العصر وتاريخ مصر ، وكانت له مهمة استشارية سياسية بالإضافة إلى ذلك .

٢. حاول الفرنسيون أن يتقربوا إلى العرب في مصر فنقلوا إليهم عاداتهم الاجتماعية وأساليبهم في الحياة فأحدثوا هزة عنيفة وزرعت أسئلة عديدة في أذهان الناس جعلتهم يفكرون ويتأملون ويعيدون النظر في نمط حياتهم السابقة .

٣. أشرك نابليون العرب المصريين في إدارة شؤون بلادهم ، فأنشأ الدواوين ونظم الأمور الداخلية مصطنعاً الطرائق العلمية الحديثة .

ومهما يكن من أمر فإننا لا يمكن أن عتد بالحملة تاريخياً للنهضة الأدبية لأن آثارها العلمية هي الأبرز والأوضح و إن كانت محدودة ، وإن جاز لنا على سبيل التوسع اتخاذها منطلقاً لتأريخ بدايات عصر النهضة وليس على وجه التحديد .

الرأي الثاني :

أن عصر النهضة - العصر الحديث - يبدأ مع بداية بروز النزعات القومية العربية ، إثر المناداة بالقومية التركية وبدء محاولات التتريك التي شرعت فيها جمعية الاتحاد والترقي ، وظهور الجمعيات العربية السريّة المناهضة للأتراك ، ومن ثم العالمية وما سبقها من إرهابات من وجهة نظر أصحاب هذا الرأي .

الرأي الثالث :

يرون أن الحركات الدينية المعاصرة والتي بدأت تباشيرها في وقت مبكر ممثلة في حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد ، وحركة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في مصر ، والحركة المهديّة في السودان والحركة السنوسية في ليبيا تمثل البداية الحقيقية لهذا العصر .

البداية الحقيقية لعصر النهضة :

في الحقيقة إن بداية عصر جديد في الأدب لا تكون رهينة لحدث تاريخي بعينه ، أو مرتبطة بسنة محددة ، بل هي موجة تنطلق من بدايات متعددة على مساحة شاسعة في الزمان والمكان ، لذا يمكن اعتبار كل ما أشارت إليه الآراء السابقة منطلقات لهذه الموجة التي اكتسحت في طريقها مخلفات مئات السنين .

وقد استوعبت البدايات عقوداً طويلة من المقدمات التي سبقت الانطلاقة الحقيقية للأدب في العصر الحديث ، وليس من شك أن ثمة مسألتين جوهريتين كانتا محور النهضة الأدبية الحديثة :

١ . العودة إلى منابع الأساسية ، والارتباط بالأصول بعد عهود من الانقطاع كادت الهوية القومية والفكرية للأمة أن تمحى وتتلاشى ، وليس من شك أن الارتباط بالجذور الذي مثلته الحركات السلفية قد مهّد لعهد جديد استردت فيه الأمة هويتها العقدية ، ومن ثم رجعت إلى تراثها الأدبي و تمثلته ، وجاء تالياً بالضرورة للبحث عن المضآن الرئيسية للعقيدة .

٢ . التحدي الحضاري الذي تمثل في الغزو العسكري والفكري والعلمي ساعد ذلك على استكمال اكتشاف الذات وتحقيقها ، فقد اتضح للأمة حين تفتحت أمامها آفاق المعرفة بالآخر أنها متأخرة حضارياً ، وأن عليها أن تسرع الخطى لتلحق بركب الحضارة .

عوامل نهضة الأدب في العصر الحديث :

رأى الباحثون المعاصرون على التماس الأسباب التي أدت إلى بزوغ النهضة في هذا العصر ، والحقيقة أنه ليس من السهل تحديد أسباب بعينها لذلك وإنما هناك عوامل متعددة أفرزتها المرحلة التاريخية وأشاعت مناخاً عاماً مهّده لظهور أعمال أدبية برت عن انعطافه جديدة في تاريخ الأدب العربي وعكست إلى حد ما الأوضاع الحضارية الجديدة ومن هذه العوامل :

١ . العودة إلى منابع الأساسية وإلى كتب التراث العربي والإسلامي مثل العودة إلى العصر الجاهلي والعصر العباسي ، فاستلهموا النماذج الرفيعة واحتذوها ونسجوا على منوالها وتمثلت العودة إلى هذه المنابع في اتجاهين :

أ . إحياء كتب التراث وقد ساعدت المطبعة على ذلك ، خصوصاً مطبعة بولاق الشهيرة والتي طبع عليها أمهات الكتب العربية ، وقد ساعد البارودي على إحياء التراث فقد وضع نماذج شعرية رفيعة أمام أعين الشعراء حين طبع مختاراته الشهيرة التي انتقاها بعناية من دواوين الشعر العربي في العصرين الجاهلي والعباسي وبعض النماذج من العصور الأخرى .

وكانت المطابع قد اهتمت بإعادة إحياء التراث منذ وقت سابق لظهور مطبعة بولاق ؛ إذ طبعت على المطابع التركية كتب عديدة من مثل القاموس المحيط وغيره ، كما أن مطبعة إسطنبول قد أسهمت بشكل ملحوظ في هذه المهمة ، بالإضافة إلى المطبعة الأمريكية في بيروت ، ومطبعة الآباء اليسوعيين وهي من أكبر المطابع ، وشكلت فيما بعد لجان خاصة بالطباعة والنشر والعناية بكتب التراث وبدأت عملية إحياء التراث تأخذ مسارها الطبيعي بعد ذلك .

ب. بروز حركات الإصلاح الديني والعودة إلى المضآن الرئيسية للإسلام ونبت البدع والخرافات وبناء الشخصية الإسلامية السوية .

٢. عوامل أفرزها التقدم العلمي والتقني كالطباعة التي تحدثنا عن دورها في إحياء التراث والصحافة التي كانت مرتبطة في نشأتها بالطباعة وفضلا عن المذيع والتلفاز ووسائل النشر الحديثة . كل ذلك أسهم في تشجيع الأدباء والشعراء على الإنتاج لأنهم كانوا يجدون أمامهم فرصاً واسعة للنشر ونستطيع أن نشير إلى أن ذلك كله كان من إفرازات الحضارة الغربية ، وأن نظر إلى هذه العوامل في ضوء التماس الحضاري بيننا وبين الأمم المتقدمة ، وكان هذا التماس قد حصل في صور متعددة وأشكال مختلفة منها : حملة نابليون وأثرها ، وكذلك البعثات ودورها في نقل ما أحرزه الغربيون من تقدم في مجالات الفكر المختلفة .

٣. عوامل أخرى غير ثقافية ساعدت على نهضة الأدب منها : الاحتلال الأجنبي لعدد من الأقطار العربية ، والثورات التي اندلعت إثر ذلك فقد أيقظ الاحتلال الأجنبي لعدد من الدول العربية وخصوصاً مصر الروح الإسلامية والوطنية ، وكان بمثابة تحديٍّ وجب على الكتاب والشعراء أن يواجهوا هذا الاحتلال ، وأن يستنهضوا من أجل مقاومته ومقارعته ، ولو أخذنا لذلك نموذجاً لهذه الثورات نجد أن الثورة العربية ومن قبلها ثورة القاهرة ضد نابليون كل هذه الثورات صاحبها استنفار أدبي تمثل في القصائد والخطب والمقالات التي قيلت ونشرت لاستنهاض الأمة ، فضلاً على أنها فتحت العيون والأذان على منجزات الحضارة الغربية نتيجة للاحتكاك المباشر بالمحتلين . وهناك مسألة أخرى متصلة بهذه القضية وهي تتمثل في تشجيع الاستعمار البريطاني على سبيل المثال على تكوين الأحزاب وإنشاء الصحف لأسباب سياسية مما أدى إلى نشر ألوان الثقافة التي أراد أن يرو لها المحتل ، ولكنها من جهة أخرى أفرزت نتائج إيجابية في المجال الأدبي .

أولاً: تطور الشعر في العصر الحديث :

أولاً. الاتجاه المحافظ " مدرسة الإحياء " :

نستطيع أن نسمي النصف الثاني من القرن التاسع عشر عصر الإصلاح أو عصر محاولة الإصلاح ، فقد تقدم رواد في الشعر يريدون أن ينهضوا به ويجيوا فيه الروح التي خمدت عندما تغلغت العناصر الأجنبية والعثمانية في حياتنا ، وقد أخذت تباشير هذا التحول في الشعر عند محمود صفوت الساعاتي ، عبد الله الفكري ، عائشة التيمورية ، غير أنهم لم يتخلصوا تماماً من البديعيات ، وإنما الذي تخلص من ذلك محمود سامي البارودي .

يعد البارودي الرائد المثالي لهذه الحركة ؛ إذ نجد في شعره يتخذ الشعراء العباسيين ومن سبقهم نماذج يقلدهم ويعارضهم ، ولكن ليست المعارضة التي تلغي شخصيته ، فهو يصور في شعره الحروب التركية والروسية التي شارك فيها ، ويصور حياته الخاصة ومتعه قبل منفاه ، كما يصور همومه وآلامه في المنفى ، فهو لم يكن مقلداً للقدماء بالمعنى السيء للتقليد ، إنما كان دوره أنه رد الشعر العربي إلى جزالته ورضانته ، أما بعد ذلك فشخصيته في شعره قوية بارزة ، تستكمل حريتها وليس هذا فحسب بل إنه يستشعر الحرية القومية فتحدث عن مطامح أمته السياسية ، ويأسى لما تتردى فيه من ضعف وخذلان ، ويقارن بين ماضيها وحاضرها ، ويصف أمجادها الغابرة .

وتقدم الشيخ حسن المرصفي فألف كتاب " الوسيلة الأدبية " وهو يقع في مجلدين ضخين ، ساق فيه بطريقة عصرية قواعد اللغة والنحو والبلاغة والعروض ، وعرض هذه القواعد في نماذج بديعة اختارها من الأساليب القديمة الحية من الشعر الجاهلي أو الإسلامي أو الأموي أو الأموي أو العباسي ، كما أشاد بالبارودي إشادة واسعة ، فأنشد طائفة من قصائده ، وحاول أن يظهر تفوقه على سائر من عارضهم من الشعراء القدامى بما اختص به من سمات فنية ، وبذلك هيأ أذهان الشعراء وأعدّها لطريق البارودي الجديدة ، فأعجب بذلك الشباب الناشئ من الشعراء وعلى رأسهم شوقي وحافظ ، وامتد ذلك إلى من هاجروا إلى مصر من السوريين واللبنانيين ، بل امتد إلى إخوانهم في الشام فنجد منهم مثلاً خليل مطران .

وهؤلاء الشعراء الثلاثة هم خير من اطلع بهذه النهضة التي بدأ البارودي ، وسماهم الجيل الذي خلفهم بـ "المحافظين" وإنما سموهم بذلك ؛ لأنهم اعتمدوا في شعرهم على المادة الأدبية القديمة ، وكأنهم فاتحهم ما رأوه لديهم من تجديد في معاني الشعر و موضوعاته ، وذهاجم به نحو التعبير الحر عن نزاعاتنا الفردية الاجتماعية .

وقد خطى شعراء النهضة و الإحياء بالشعر العربي خطوات واسعة فهم من جهة حافظوا على تقاليده العباسية القديمة في الوزن والصياغة ، وهم من جهة ثانية عبروا عن مشاعر الجمهور وعواطفه ، وبعبارة أخرى استأنفوا للشعر حياته القديمة الخصبة ، وطوعوه ليؤدي الحياة العامة أداءً دقيقاً .

من أهم خصائص مدرسة الإحياء :

- ١ . المحافظة على الشكل العام للقصيدة وهو الشكل العمودي ، والتقيد بأوزان الخليل والسماط العروضية للقصيدة من مثل الترصيع ، والمحافظة على المقدمة الطللية ، وبكاء آثار الأجابة .
- ٢ . معارضة الشعراء القدماء في قصائدهم والنسج على منوالهم .
- ٣ . بعث الألفاظ القديمة والاعتماد على المعجم اللغوي القديم .
- ٤ . استخدام الصور والأخيلة القديمة من مثل الصور التي تزدحم في قصائد المتنبي أبي تمام .
- ٥ . تسخير الشعر لخدمة هدف أخلاقي أو تعليمي ، فكان الشعر لديهم من أهدافه تهذيب الأخلاق ومعالجة جوانب النقص في المجتمع .
- ٦ . الحرص على الجزالة والرصانة والمتانة وقوة البناء .
- ٧ . تعدد الموضوعات والاهتمام بوحدة البيت على حساب وحدة القصيدة وهو مسلك نجده في الشعر العربي الأصيل .
- ٨ . اتسم شعرهم أيضاً بطابع المبالغة والتهويل والتفخيم على نحو يذكرنا بشعر المتنبي في قصائده لسيف الدولة .
- ٩ . كان لديهم فسحة للتجديد كما يقول أصحاب مدرسة الإحياء ، فهم يقولون أنهم جددوا بإضافة أشياء جديدة مثل شعرهم السياسي والاجتماعي وبناء طريقة جديدة لإخراج قصيدة الشعر السياسي .

نموذج متكامل

قال البارودي يعارض الشريف الرضي :

سواي بتحنان الأغاريد يطربُ
وما أنا ممن تأسرُ الخمرُ لُبَّهُ
ولكن أخوهم إذا ما ترجّحت
نفى النومَ عن عينيه نفسَ أَيْتَةٍ
بعيد مناط الهم فالغربُ مشرقُ
ومن تكن العلياء همّة نفسه
إذا أنا لم أعطِ المكارمَ حقّها
أسيرُ على نهج يرى الناسُ غيره

وغيري باللذات يلهو ويلعبُ
ويملك سمعيه اليراعُ المثقّبُ
به سورة نحو العلاء راح يدأبُ
لها بين أطرافِ الأسنّة مطلبُ
إذا ما رمى عينيه والشرقُ مغربُ
فكل الذي يلقاه فيها مُحَبَّبُ
فلا عزني حالٌ ولا ضمّني أبُ
لكلّ امرئٍ فيما يحاول مذهبُ

المفردات (المعاني الجزئية) :

التحنان : الصوت المطرب - اللب : العقل ، وتأتي بمعنى القلب أيضاً ، اليراع :
المزمار - سورة : حدّة ، والمقصود هنا الطموح الوثأب يدأب : يعمل بهمة ونشاط بعيد
مناط الهم : ذو مطامح لا تحدها حدود .

الفكرة الرئيسة (١) : يفخر الشاعر في هذه الأبيات بأنه ليس ممن تستخفه نشوة
الطرب وسيطر عليه النزوع إلى اقتناص اللذة واللهو ، وتغيبه عن رشده الخمرة ، وتصرفه
إلى سماع الألحان العذبة ، ولكن ذو عزيمة قويّة وطموح وثأب يشغله عن هذه الأمور
التافهة وقد أقضت مضجعه وطردت النوم عن عيونه ، فنفسه العالية التي تأبى الضيم ترنو

(١) لا يغيب عن البال أن الشعر ليس أفكاراً مجردة وإنما هو رؤية بل رؤيا تتشكل في فضاء الفكر والوجدان
والتوق الأزلي إلى اشتراق الوجود ، ولكن الشعر القديم عنى بالفكرة وعبر عنها وجعلها سنداً لانفعاله ، من
هنا كان لا بد من الوقوف عندها في التحليل .

إلى تحقيق المطالب الصعبة التي لا تنال إلا بشق الأنفس وخوض المعارك، وهمته تضيق
رقعة الأرض أمامه، وتختصر المسافات ، فلا فرق عنده بين المشرق والمغرب إذا ما اقتضت
حاجته ذلك .

ثم ينتقل إلى الحكمة والحكمة عنده وثيقة الصلة بوجوده وتجربته الذاتية فهي
ليست حكمة مجردة ، ذهنية الطابع ، بل يحسن التخلص إليها من واقع إحساسه
بنفسه وبقدراته ، ويمزجها بالفخر مزجاً وثيقاً كما نرى في الأبيات الثلاثة الأولى ، فهو
يقرر أن من يريد أن يصل إلى قمة المجد فإن ما يصادفه في سبيل ذلك من عنّت وإرهاق
أمر مرغوب فيه ، وأن اكتساب المحامد لا بد من أن ينال بثمن غالٍ ، هذا الثمن هو الذي
أشار إليه الشاعر في قوله « إذا أنا لم أعطي المكارم حقها .. إلخ » رابطاً بين الحكمة
والفخر فكأنه يستدل على صدق مقولته بحالته هو ، حيث يدعو على نفسه ويصفها بأنها
غير جديرة بإعزاز الخال والانتساب إلى الأب إذا لم يقدم الثمن المطلوب لبلوغ أرقى
مراتب المجد .

وتظهر شخصية البارودي واضحة جلية في حكمه فهو يقرر أن له نهجاً خاصاً قد
يختلف مع الناس بشأنه ، ولكن ذلك لا يثنيه عن التمسك به ، فلكل إنسان طريقته
ومنهاجه الخاص ، وهنا يتضح الربط بين الحكمة والإحساس بالذات ، أو ما يسمى بالربط
بين العام والخاص ، أو الذاتي والموضوعي ، الأمر الذي دفع العقاد إلى أن يشير إلى هذه
الخاصية في شعر البارودي فهو يرى أنه فنّان مبدع في أتباعه وتقليده للقدماء وأن
شخصيته تتضح في شعره ^(١) ، في حين يرى بعض الباحثين غير ما يري العقاد ، إذ
يقول الدكتور عبد اللطيف خليف معلقاً على رأي العقاد هذا (ما ملخصه) أن شعر
البارودي لا يعبر عن حياته ولا عن حياة قومه وإنما يدل على ثقافته وقدرته على رياضة
القول عن طريق العرب الأقدمين ^(٢) .

(١) راجع : عباس محمود العقاد ، شعراء مصر وبيئاتهم في القرن الماضي ، كتاب الهلال ، القاهرة .

(٢) راجع : د . محمد حلمي عليوه ، محاضرات في الأدب الحديث (مخطوط) ص ٣١ - ٣٢ .

هذه الصياغة على نحو يبين أنها تجدد هوى في نفسه، ولكنها ترتبط بتجربته أيضاً على نحو ما، ولكن ذلك كله لا يجعله مبتكراً، أو مبتدعاً، ذا شخصية فنية مستقلة .

القيم الفنية :

أولاً - أول ما يلفت الانتباه في هذه الأبيات استهلالها بمطلع (مُصْرَع) على عادة الشعراء القدامى، حيث التراث الموسيقي الناجم عن تماثل القافية في الشطرين مما يكون له وقع في نفس المتلقي يوقظه ويحفزه لعملية التلقي، كذلك فإن اختيار الشاعر للبحر الطويل وهو يشتمل على ثمان وعشرين مقطوعاً، من أحفل البحور الشعرية بالرصانة والعمق، وهو يعطي إمكانية للسرد والعرض، ولهذا يناسب القصائد القصصية والملحيمة .

ثانياً - استخدام الشاعر لأسلوب النفي من أجل الإثبات فهو ينفي عن نفسه الطرب لأصوات الغناء واللهو باللذات، وهذا أمر لافت، وظاهره أسلوبية فيها خروج على المعتاد من الكلام المألوف، وقد جاء الإثبات بعد ذلك في شكل تقرير بعد أن هبىء المتلقي وحفز عن طريق التشويق لأن النفي يثير في النفس حب الاستطلاع لما سيثبت بعد ذلك ثالثاً - التقديم والتأخير في الأبيات حيث أخر الفعل في البيت الأول وقدمت متعلقاته، وقدم المفعول به في الشطر الثاني (ويملك سمعيه اليراع) وأخر الفاعل كذلك في الشطر الأول من البيت الرابع، كل ذلك من أجل وقع أشد للمعنى وتوكيده في ذهن المتلقي ووجدانه .

رابعاً - الغنى الإيقاعي الناجم عن استخدام القافية البائية والحروف وتكرار نوع معين منها كالنون في (تحنان) (ونفي النوم من عينيه نفس) واللام والميم، وما إلى ذلك، ثم التضعيف في العديد من المفردات (اللذات، اللب، ترجحت، أبية، همّة، محبب، ضم .. إلخ) والياء الساكنة التي تكررت في النص، كل ذلك يمنح إحساساً بالقوة والجزالة.

خامساً - الكناية في الأبيات من الظواهر البلاغية البارزة وخصوصاً في قوله أخوهم،

فضلاً عما تعنيه في البيتين الأولين، وفيها خفاء محبب يلفظ من حدة المباشرة (لها بين أطراف الأسنه مطلب)، والتشخيص (تأسر الخمر ويملك سمعيه اليراع) في إطار الاستعارة يمنح النص حيوية وحركة .

ثانياً : المدرسة الرومانسية الابتداعية وتشمل : (جماعة الديوان ، جماعة المهجر ، وجماعة أبوللو)

١ . مدرسة الديوان " الاتجاه التجديدي الذهني "

لقد دعت الحاجة إلى ظهور لون جديد من الشعر ، يحاول القيام بما عجز عنه الاتجاه المحافظ البياني من تحقيق المثل الشعري الذي يلائم العصر والبيئة ، ويتجنب ما تورط فيه الاتجاه المحافظ البياني من مأخذ ، ولقد ولد هذا الاتجاه الشعري الجديد على يد ثلاثة من الشباب المعاصرين هم : عبد الرحمن شكري ، وإبراهيم المازني ، وعباس محمد العقاد .

وقد اشترك هؤلاء الشباب الثلاثة في عدة سمات فهم :

أولاً : من ذوي الثقافة الأدبية الإنجليزية بالإضافة إلى الثقافة العربية .

ثانياً : من المفكرين المغلبن كثيراً لجانب العقل .

ثالثاً : من الشباب الثائر المتطلع إلى آفاق عليا وقيم أفضل .

رابعاً : من الطموحين الذين يرون آمالهم أكبر من إمكانيات عصرهم وظروف معيشتهم .

وقد كان لهؤلاء الثلاثة قراءات في الشعر الإنجليزي ، وتعرف على شعرائه وخاصة الرومانتيكيين ، كما كانت لهم قراءات في النقد الإنجليزي .

سمات هذا الاتجاه :

أهم سمات هذا الشعر الذي ظهر مع هؤلاء سمتين هما : التجديدية والذهنية .

أما التجديدية فتتمثل في جانبين :

جانب المفهوم الحقيقي للشعر وهو عندهم أن الشعر تعبير عن النفس الإنسانية في فرديتها وتميزها .

وجانب الشكل الفني للقصيدة وهو ما يقوم على اعتبارها كائناً حياً لكل جزء من أجزائه وظيفته ومكان كوظيفة وعضو جسم الإنسان ومكانه .

أما الذهنية فتتمثل في :

رعاية الجانب الفكري في النسيج الشعري ، وعدم قصر هذا النسيج على خيوط من العاطفة وحدها ، فالواجب عندهم أن يخاطب الشعر العقل كما يخاطب القلب ، وأن يتسع مفهوم الوجدان بحيث يشمل كل ما يجده الإنسان في نفسه من شعور وفكر معاً .

* موضوعات هذا الاتجاه :

ظهر هذا الاتجاه كرد فعل للاتجاه المحافظ البياني ، ولذا كان فيه عند أول ظهوره شيء من المبالغة التي تصاحب عادة ردود الأفعال ففي مجال الموضوعات نجد أن أعلامه يتعدون كثيراً عن المجال الخارجي النائي عن نفس الشاعر و وجدانه ، فلا يقولون في المناسبات ولا السياسات ولا الاصلاحيات ، وإنما يهتمون في التأمّلات الفكرية ، ونظرات فلسفية تهتم بحقائق الكون وتفتش عن أسرار الوجود .
ومن هنا يتحدث العقاد عن المعرفة ويقرر أن نهايتها كالذرى الثلجية يجمد عندها الوجود حيث تتعري الحقائق و تحتفي من الحياة حرارة الشوق إلى المجهول ، وفي ذلك يقول من قصيدته " القمة الباردة " :

إذا ما ارتقيت رفيع الذرى فإياك والقمة الباردة
هنالك لا الشمس دوار ولا الأرض ناقصة زائدة

على أن الشعراء التجديدين الذهنيين لم يحصروا أنفسهم في الموضوعات التجريدية كالمعرفة والحياة والغرور والبعث ، و إنما طرّقوا كثيراً من الموضوعات الحسية ولكن على طريقتهم ، فهم يتناولون الموضوع الحسي لا ليصفوه من الخارج وإنما يتناولون المحسوس لينقلوا منه إلى نفوسهم ، ويصوروا ما يثيره هذا المحسوس العابر من خوالد المعاني .

* أسلوب هذا الاتجاه :

١. نجد أن هؤلاء الشعراء التجديدين يتعدون غالباً عن اتخاذ النماذج القديمة مثلاً أعلى ، فلا يحاكون بناءها ، ولا يتمثلون معانيها ، وإنما يرتبطون بها في حدود استخدام اللغة العربية في تراكيب قويمة ، ثم تأليف بناء شعري من تصميمهم .
٢. يحاولون جاهدين أن يستنبطوا الحقائق وينفذوا من الأمور إلى الجوهر غير مكثفين بالظواهر ولا واقفين عند المحسوسات يفعلون ذلك وإن أدى في بعض الأحيان إلى شيء من جفافا القصيدة.
٣. يحاولون تحقيق الوحدة العضوية في القصيدة وجعلها بناء حياً بحيث لا تتعدد أغراضها ولا تتناثر أجزائها ، وإنما تتناول تجربة واضحة ، وتصلح لأن يوضع لها عنوان يشير إلى مضمونها ، وأن تتأزر أجزائها ، ويؤدي كل منها وظيفة حية في مكانه .

* العاطفة في هذا الاتجاه :

يلاحظ على شعراء هذا الاتجاه التجديدي الذهني أن العاطفة قد تأتي وراء الذهن ، على أن تلك العاطفة حين تظهر تكون من لون مفعم بأحاسيس الأسي ، مليء بمشاعر المرارة ، جئاش بالحزن والضيق الذي يبلغ أحياناً حد اليأس ، وليس من شك في أن مصدر هذه العاطفة :

١ . قراءات رواد هذا الاتجاه في الأدب الرومانتيكي الإنجليزي .

٢ . طبيعة هؤلاء الرواد ، وظروف حياتهم كان لهما أعظم الأثر في هذا الشأن : فإحساسهم المفرط بما يكتنف الحياة من مظالم وشورور وآثام ، ومعاناتهم الواعية للمتاعب والعقبات التي سدت الطرق إلى ما كانوا يرون أنفسهم جديرين به ، ومقاساتهم الشديدة لألوان الاضطهاد التي وصلت أحياناً لحد المحاربة في الرزق .

ومما مثل هذا الطابع من شعر المازني قوله في قصيدة يعبر بها عن مأساة الضيق بالحياة ، وعدم احتمالها نتيجة لفرط الإحساس بخيبة الآمال :

لبست رداء الدهر عشرين حجة وثنتين يا شوقي إلى خلع ذا البرد
عزوفاً عن الدنيا ومن لم يجد بها مراداً لآمال تعلق بالزهد

وليس كل شعرهم آخذاً هذا المنحى الباكي ، وليس كله مفعماً بالعاطفة على هذا النحو ، فلهم كثير من الشعر في مناحٍ أخرى تصل أحياناً إلى حد السخرية والإضحاك ، كما لهم كثير من الشعر لا تكاد تحس فيه إلا برودة الذهن ، وجفاف العقل ، ولكن طابع النفس الإنسانية ، وقلقها وعدم رضاها ، وطابع الفكر الممزوج بالعاطفة هو الطابع الغالب على شعر هؤلاء الشعراء .

٢. "جماعة أبوللو" الاتجاه الابتداعي العاطفي

بعد أن أصيب الاتجاه المحافظ البياني بالتجمد ، ومني الاتجاه الثاني بالانحسار ، وكانت الظروف مهينة لنشأة اتجاه شعري ثالث ، فنشأ هذا الاتجاه ليعوض بجرارته وانطلاقه ما أصاب الحياة الشعرية من تجمد على البيانيين ومن انحسار على أيدي الدهنيين .
ولقد سمي هذا الاتجاه بالابتداعي العاطفي نظراً لكون الشعر السائر في هذا الاتجاه لا يتسم بالتجديد فحسب وإنما يتجاوز إلى الابتداع المنطلق المتحرر ، ثم لكون هذا الشعر يجيش بالعاطفة الحارة المتدفقة لا بالبيان المنمق ولا بالذهن المتفلسف .

أما تلك الظروف التي هيأت التربة لظهور هذا الاتجاه وجعلت منه اتجاها ضروريا في ذلك الحين :

١. الصراع الذي كان قد احتدم بين المحافظين وعلى رأسهم شوقي وبين المجددين وعلى رأسهم العقاد فهذا الصراع قد كشف عن محاسن كلاً من الاتجاهيين و مساوئهما ، ومن هنا كانت الفرصة سانحة ومتاحة أمام جيل الشباب من الشعراء لكي يختار أحسن ما في الاتجاهين ويتجنب أسوأ ما فيهما ، وأن يمزج بين محاسن كلاً حين يريد أن ينجو مما تورط فيه الجيلان السابقان من محافظين ومجددين .

٢. التأثير بشعر الرومانتيكيين الأوروبيين ولإنجليز منهم بصفة خاصة ، فقد كان رواد هذا الاتجاه مثقفين ثقافة أوروبية ، مجيدين بصفة خاصة للغة الإنجليزية ، ومتعلقين بصفة أخص بشعر الرومانتيكيين الانجليز ، فأحمد زكي أبو شادي والذي يعتبره عدد من الدارسين رائد هذا الاتجاه كان قد عاش في إنجلترا نحو عشر سنين لإتمام دراسته في الطب وكان مفتوناً ببعض الشعراء الرومانتيكيين الانجليز وكذلك إبراهيم ناجي ، وعبد المعطي الممشري ، وصالح جودت .

٣. التأثير بأدب المهجر وقد كان هذا العامل كبير الأثر بصفة خاصة عند الشعراء المحبين لهذا الاتجاه العاطفي ولكنهم لا يجيدون اللغة الأجنبية فلم تتح لهم فرصة الاتصال المباشر الرومانتيكي .

خصائص هذا الاتجاه المتصلة بالموضوعات

١. الاهتمام بموضوع الحب والمرأة ، وقد كان شعراء هذا الاتجاه يتخذون من الحب ملاذاً يفرون إليه من عذاب الحياة عسى أن يعوضوا به ظلم الدهر ، ومرقاً يرقون عليه فوق العالم الأرضي ومن ذلك قول ناجي :

هوى كالسحر صيرني أرى بقريحة الشهب
وطهرني وبصبرني ومزق مغلق الحجب
سموت كأنني أمضي إلى رب يناديني
فلا قلبي من الأرض ولا جسدي من الطين

٢. موضوع الطبيعة ، فكلهم قد أحب الطبيعة وعشقها ، بل منهم من حاول أن يمتزج بها ويدوب فيها ، وقد كانت الطبيعة عندهم كذلك مهرباً يلذون بصفائه من كدر الحياة ، ويغسلون في طهره ما يصيبهم من رجس العيش ، ويجدون في رحابته متنفساً مما يعانون من ضيق وتأزم ، وكل هذا بما يخلعونه عليها من خيال مجنح وهو الذي يجعل لحديثهم عن الطبيعة قيمة إبداعية .

يا طريق الحزين عرج على الغرس وسر بينه بروحي وحسي
يا صميم الحقول سر بي وخذي من وجود وهبته كل يأسني
في جوار المياه تجري يخفق من خفقي وبفضي بهمسه مثل همسي

٣. الحنين إلى مواطن الذكريات والهروب إليها في لهفة حزينة وتعطش ، وغالبا ما تكون مواطن الذكريات هي مراع الطبيعية أو مراع الحب .

٤. الشكوى فهم كثيراً ما يفيضون بأحزانهم ويصورون آلامهم التي تكون أحياناً واضحة الأسباب وأحياناً أخرى غامضة مجهولة المصدر .

٥. تصوير البؤس وإبراز بعض الجوانب المظلمة في المجتمع .

٦. التأمل والذي كان نتيجة حقائق الكون التي يرونها بلمحة الصوفي أحياناً ، كما يرمقها بعين المتفلسف حيناً آخر ، ولكن كل هذه التأملات يغلب عليها الجيشان العاطفي .

خصائص هذا الاتجاه من حيث الأسلوب وطريقة الأداء :

أساسها : الطلاقة البيانية والحرية التعبيرية بحيث تستعمل اللغة استعمالاً جديداً أو شبه جديد ، في استخدام الألفاظ ودلالاتها ، ووضع الصفات من موصوفاتها ، ثم التوسع الكبير في المجازات والابتكار المبدع في الصور .

١ . التوسع في نقل الألفاظ من مجالات استعمالها القريبة إلى مجالات أخرى بعيدة مبتكرة ، عن طريق مجاز معتمد على تراسل الحواس بحيث يستعمل للشيء المسموع ما أصله للشيء الملموس ، أو المرئي أو المشموم ، ومنها يتحدثون عن نعومة النغم أو بياض اللحن ، ومصدر هذه الخاصية التعبيرية عندهم : التأثير بالشعراء الرمزيين الذين كانت هذه الخاصية من أبرز سمات أسلوبهم ، والذين اتصل رواد هذا الاتجاه بشعرهم ، وعرفوا تلك الخاصية عندهم ، فنقلوها بمهارة إلى اتجاههم ، فقد كان إبراهيم ناجي مثلاً على صلة بشعر موليير وهو القائل : (إن الألوان والأصوات تتجاوب) . ومن ذلك قول الهمشري مخاطباً النارنجة الذابلة :

| | |
|-------------------------------|------------------------------|
| خنقت جفوني ذكريات حلوة | من عطرك القمري والنغم الوضيء |
| فانساب منك على كليل مشاعري | ينبوع لحن في الخيال مفضفض |
| وهفت منك على كليل مشاعري | ينبوع لحن في الخيال مفضفض |
| وهفت عليك الروح من وادي الأسى | لتعب من خمر الأريج الأبيض |

وقد أثارت هذه الخاصية التعبيرية كثير من المحافظين فأكثروا من اتهام مستخدميها بالهذيان والخروج عن العرف اللغوي . الحق أن هذا الاستخدام ليس إلا ضرباً من المجاز ولكن مع شيء من التوسع ، فإن كان المجاز أساسه هو علاقة بين شيئين كالمشاهدة مثلاً ، فإن أساس هذا اللون هو من الاستعمال هو وحدة الأثر النفسي ، والملازمة الخارجية بين شيئين .

وهو من الناحية الفنية وسيلة إلى نقل الحالة النفسية بدقة أكثر ورهافة أشد ، حيث يكون اللفظ المنقول أدق تعبيراً وأرهف أداء في حالة نفسية معينة ؛ لارتباطه بموقف يتلازم فيه شيئان ، أو لوحدة الأثر النفسي بين الشيء المنقول له اللفظ والشيء المنقول منه .

٢. التجسيم : وهو تحويل المعنويات من مجالها التجريدي إلى مجال آخر حسي ثم بث الحياة فيها أحياناً وجعلها كائنات حيّة تنبض بالحياة وتتحرك :
يقول ناجي في معاودة ذكرى حب قديمة :

ذوت الصبابة وانطوت وفرغت من آلامها
عادت إليّ الذكريات بحشدها وزحامها

٣. التشخيص : منح الحياة الإنسانية لما ليس بإنسان حتى ليتصوره الشاعر وكأنه إنسان يحس إحساسه ، ويفكر تفكيره ، ويفعل أفعاله ، ومن ذلك قول الهمشري :

فنسيم المساء يسرق عطراً من رياض سحيقة في الخيال
صوّر المغرب الذكي رباها فهي تحكي مدينة الأحلام
و وراء السياج زهرة فلّ غزلتها أشعة المساء

٤. التجريد : وهو تحويل المحسوسات من المجال المادي الذي هو طبيعتها إلى مجال عنوي هو من خلق الشاعر ومن نماذجها قول محمود إسماعيل في شمعة في غرفته :

كأنها والدجن يلهو بها أمنية في بأسها فانية

٥. التعاطف مع الأشياء الذي يصل أحياناً إلى حد الامتزاج بها ، أو الحلول فيها ، والتفكير من خلالها ، فيجعلها تفكر بدلا منه وتحس نيابة عنه ، وتعبّر عما يريد هو أن يشير إليه ، ومن ذلك قول الهمشري في النارنجة الذابلة :

وهنا تحركت الشجيرة في أسن وبكى الربيع خيالها المهجور
وتذكرت عهد الصبابة فتأوهت وكأنها بيد الأسى طمبور

٤ . أدب المهجر :

نشأ الأدب المهجري في الأمريكيتين الشمالية والجنوبية بين أبناء الجاليات العربية التي نزحت من بلاد الشام في أواخر القرن التاسع عشر . وينقسم أدباء المهجر إلى قسمين :

فئة المهجر الشمالي :

في الولايات المتحدة الأمريكية وهم أبعد أثراً وأذيع صيتاً ، وهم ينزعون منزعاً حديثاً في اتجاهاتهم الفنية ، فكانوا أكثر تأثيراً في الأدب العربي المعاصر ، منهم (أمين الريحاني ، ومسعود سلامة ، نعمة الحاج)

وقد كونت هذه الجماعة رابطة تجمعها وهي (الرابطة القلمية) ١٩٢٠-١٩٣١ :

تكونت هذه الرابطة في الولايات المتحدة برئاسة جبران خليل جبران وسكرتارية مخائيل نعيمة ، ومن أبرز شعرائها جبران ، ونعيمة ، إيلياء أبو ماضي ، نسيب عريضة ، رشيد أيوب ، وقد انتشر إنتاج هؤلاء في الشرق وأثروا في كتابه ، وكتبوا في أكثر الفنون الأدبية (الشعر ، القصة ، الرواية ، النثر العاطفي) ، واتجه أكثرهم في كتاباته اتجاهاً تأملياً فلسفياً ، روحانياً ، واجتماعياً ، وصدرت عن الرابطة القلمية جريدة السائح بملكها عبد المسيح حداد ، يصدر في كل عام عدداً يكون له أثره الواسع فتنتقل عنه الصحف فصولاً كاملة .

فئة المهجر الجنوبي :

في البرازيل ، وقد ظل أكثرهم يسير على سنن المحافظين في الشرق ، وكانت جل آثارهم في الشعر ، أما حظهم من النشر فكان ضعيفاً ، منهم : (فوزي المعلوف ، إلياس طعمة ، سلوى الأطلس)

وقد كونت هذه الجماعة رابطة تجمعها وهي (العصبة الأندلسية) ١٩٣٢ :

ولدت هذه الرابطة عام ١٩٣٢ وتتألف من ميشال معلوف رئيساً ، وداود شكور ، وحبيب مسعود وغيرهم من الأعضاء ، وانضم إليهم نخبة من أشهر الشعراء والأدباء منهم (شفيق معلوف ، الشاعر القروي ، وإلياس فرحات) ، وصدرت عنها مجلة (العصبة) .

من أبرز الخصائص التي يتميز بها الأدب المهجري :

١. التحرر من كثير من القيود وقادهم ذلك إلى الابتكار والبعد عن التقليد ، فكانت أغلب أشعارهم تضم خلاصة العناصر الحية القوية في روحانية الشرق ، مسكوبة في أحدث قالب و أروع من رومانتيكية الغرب . وأما النثر فقد ابتكروا في القصة والمقالة والكتابة النقدية والوصفية والتحليلية .

٢. ومن أبرز ما تميز به أدباء المهجر أن لكل منهم طابعاً خاصاً تظهر فيه شخصيته على الرغم من وحدة المنبع ، ووحدة الغاية .

٣. الحنين إلى الوطن . فقد ترك أدباء المهجر قراهم الوداعة الساكنة ليغوصوا في خضم من المادية الصاخبة .

هجرت وللنفس أطماعها وإني مع الحظ في هجري
فلا المال أشبع من جوعتي و لا المجد أطفأ من غلتي
هي النفس تحيا بإحساسها وليس على الحس من قدرة
فلا ، أحب سوى قريتي و لا ، أريد سوى أمتي

٤. التأمل وهذه الميزة من أبرز ما يوصف به أدباء الرابطة القلمية فقد كانوا يخلقون بأخيلتهم في عوامل مجهولة ، يجللون النفس الإنسانية ويصورونها بدقة ، ويحاولون إمطة اللثام عن أسرار الحياة ، وأسرار ما وراء الحياة .

٥. حب الطبيعة ، فهم عميقو الإحساس بالطبيعة يرون فيها الحياة فهي تحب، وتكره، وتسعد وتشقى، وتفرح ، وتحزن .

٦. النزعة الإنسانية : التي لا تعرف الحدود ولا السدود ولا الفروق بين المخلوقات ، والإنسانية بمفهومها الواسع عندهم نظرة واسعة إلى الحياة والوجود ، فقد شاع في شعرهم هذا النداء الرقيق الحنون : يا أخي ، يا رفيقي
ومن ذلك ما قاله إيليا أبو ماضي :
يا رفيقي ! أنا لولا أنت ما وقعت لحناً
كنت في سريّ لما كنت وحدي أتغنى
هذه أصداء روعي ، فلتكن روحك أذناً
ربما كنت غنياً غير أني بك أغنى
يا رفيقي ! أنت إن راعيت فجري بك أسنى
وإن طفت بكرمي ، زدته خصباً وأمناً .

٧. البساطة في التعبير فالشعر عند شعراء المهجر فن الحياة لا تكلف فيه ولا تقليد ، واعتبروا البساطة والرقّة والغنائية عماد الجمال في الشعر والفن .

ثالثاً: مدرسة الشعر الحر " شعر التفعيلة "

ظهرت حركة الشعر الحر بعد الحرب العالمية الثانية ، وقد تحرر الشعراء من البحور الشعرية المعروفة ، واتخذوا التفعيلة المفردة وحدة وزنية بدلا من البحر المتعدد التفعيلات . فيجعل التفعيلة العروضية هي أساس الوزن وعماده ، ويعدّها وحدة إيقاعية سواء طالت أم قصرت ، والمعيار في ذلك ما يمليه عليه ذوقه وموهبته وحسه وشعوره ، أما القافية فله مطلق التصرف فيها ، فله أن يلتزم بها أو ينوعها حسب المقاطع .

وتذكر الشاعرة العراقية نازك الملائكة أنّها أول من نظم شعر التفعيلة بقصيدتها (الكوليرا) عام ١٩٤٧ . إلا أن هناك محاولات سبقتها في مصر قام بها محمود حسن إسماعيل ، وعلي أحمد باكثير وغيرهما .

عوامل أسهمت في ظهوره :

رأى كثير من الباحثين أن من أهم العوامل التي ساعدت على نشأة الشعر الحر إنما تعود في جوهرها إلى دوافع اجتماعية وأخرى نفسية .

فالدوافع الاجتماعية تتمثل فيما يطرأ على المجتمع من مظاهر التغيير والتبديل لأنماط الحياة ومكوناتها، وللبنية الاجتماعية والتكوين الحضاري .

أما الدوافع النفسية فهي انعكاس لما يعانیه الشاعر من واقع مؤلم نتج عن الكبت الروحي والمادي الذي خلفه الاستعمار على عالمنا العربي ، فتولد عن الميل بل الجنوح إلى خلق نوع جديد من العطاء الفني تحس فيه الأمة بأنّها بدأت تستعيد نشاطها وحيويتها .

مفهوم الشعر الحر :

تضع نازك الملائكة تعريفا للشعر الحر بأنه هو : شعر ذو شطر واحد ، ليس له طول ثابت ، وإنما يصح أن يتغير عدد التفعيلات من شطر إلى شطر آخر ، ويكون هذا التغيير وفق قان عروضي يتحكم فيه .

مميزات الشعر الحر :

وقد تميزت قصيدة الشعر الحر بخصائص أسلوبية متعددة ، فقد اعتمدت على الوحدة العضوية ، فلم يعد البيت هو الوحدة ، وإنما صارت القصيدة تشكل كلاماً متماسكاً ، وتزواج بين الشكل والمضمون ، فالبحر والقافية و التفعيلة والصياغة كلها وضعت في خدمة الموضوع ، وصار الشاعر يعتمد على التفعيلة وعلى الموسيقى الداخلية المناسبة بين الألفاظ .

فأساس الوزن في الشعر الحر أنه يقوم على وحدة التفعيلة والمعنى البسيط و أن الحرية في تنويع عدد التفعيلات أو أطوال الأشرطة تشترط في البدء أن تكون التفعيلات في الأشرطة متشابهة ، فينظم الشاعر من البحر ذي التفعيلة الواحدة المكررة أشرطةً تجري على هذا النسق مثلاً :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

فاعلاتن فاعلاتن

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

فاعلاتن

ومما سبق يتضح لنا طبيعة الشعر الحر ، فهو شعر يجري وفق القواعد العروضية للقصيدة العربية ويلتزم بها ، ولا يخرج عنها إلا من حيث الشكل ، والتحرر من القافية الواحدة في أغلب الأحيان ، فالوزن العروضي موجود والتفعيلة ثابتة ، مع اختلاف في الشكل الخارجي ليس إلا .

خصائصه من حيث الموضوعات :

يتناول الشعر الحر التعبير عن معاناة الشاعر الحقيقية للواقع الذي تعيشه الإنسانية المعذبة ، كما أن موضوعاته هي موضوعات الحياة عامة ، ومن أهم تلك الموضوعات ما يكشف عما في الواقع من الزيف والظلال ، ومن مواطن التخلف والجوع والمرض ، ودفع الناس على فعل التغيير الأفضل .

خصائص مدرسة الشعر الحر واتجاهاتها :

- ١ . استقت هذه الحركة الكثير من أدواتها الفنية وسماتها الأسلوبية من التراث العربي القديم وقبل هذا وذاك يستطيع الباحث أن يلمس العديد من الظواهر التي اقتبسها شعراء هذه الحركة من القرآن الكريم كظاهرة التكرار وظاهرة التدوير ، أما التراث فقد استفادوا منه في العديد من السمات التجديدية والفكرية ، وتأثروا بشعر الرجز والموشحات وغيرهما ، وتأثروا في لغتهم بأساليب المتصوفة وغيرهم ، كما استفادوا من الأساطير .
- ٢ . عمد شعراء القصيدة الجديد إلى استحداث أشكال عروضية جديدة ، فقد خرجوا على أوزان الخليل بن أحمد ، وأعادوا توزيع النسب الموسيقية وفق أطر جديدة فكانت التفعيلة المفردة هي الوحدة الوزنية حيناً ، أو التفعيلتان المزدوجتان .
- ٣ . استوعبت قصيدة الشعر الحر مضامين جديدة ، استجابت لمشكلات العصر ، ولم يعد المضمون منفصلاً عن الشكل .
- ٤ . التعقيد في بناء القصيدة ، وتعدد عناصر البناء ، بحيث أصبحت القصيدة تتكون من مجموعة منسقة تنسيقاً خاصاً من العناصر ، فقد استثمر الشاعر الأسطورة واستدعى الشخصيات التراثية ، وعمد إلى الرموز وعناقيد الصور .
- ٥ . تعددت أشكال القصيدة الحديثة فكان منها ما هو واقعي الرؤية يصدر عن إحساس وثيق به ، ومنها ما هو تجريدي فكري يعمد إلى الإفضاء برؤية ذهنية ، ومنها ما هو منشغل بجماليات القصيدة لا يهتم بما تقوله هذه القصيدة .
- ٦ . تفاوتت لغة القصيدة فمن التكتيف المجازي المشحون بالدلالة إلى استخدام الألفاظ البسيطة التي تقترب من مفردات الحديث اليومي .

ثانيا : النثر في العصر الحديث.

من أشهر الفنون النثرية في العصر الحديث القصة :

والقصة بمفهومها العام قديمة قدم البشر ، ولكنها كفن لم تظهر إلا في القرن التاسع عشر ، وبدور هذا الفن القصصي موجودة في التربة الأدبية العربية منذ القدم وأكمل وجه من وجوها ما ورد في القرآن الكريم من قصص الأنبياء والأمم الغابرة ، ومن الفنون التي تعتبر جذراً لهذا الفن في أدبنا العربي فن المقامة .

وقد خبطت القصة في العصر الحديث خطوات متعددة واتجهت اتجاهات مختلفة ، و تدرجت بين طرفين متقابلين أولهما محافظ يستلهم التراث ويتأثر ببعض قوالبه ، وآخر تجديدي يحاكي قصص الغرب ، وينسج على منواله ، وبين هذين الطرفين وجدت ألوان أخرى تختلف قريباً وبعداً من هذين الطرفين باختلاف طبيعة أصحابها وثقافتهم وأهدافهم .

الأعمال القصصية المحافظة :

تنوعت الأعمال القصصية التي تسير في الاتجاه المحافظ وتستلهم التراث وما فيه من ألوان قصصية مثل ألف ليلة وليلة ، والمقامات ، و تنوعت لذلك مادة هذه الأعمال و روحها وأهدافها ، فكانت أحياناً خيالية المادة وشاعرية الروح ، تهدف إلى التسلية مثل ورقة الآس لأحمد شوقي ، الذي تأثر في مادتها بألف ليلة وليلة وفي أسلوبها بالمقامات .

كما كانت أحياناً اجتماعية المادة تأملية الروح تهدف إلى الإصلاح مثل ليالي سطيح لحافظ إبراهيم التي تأثر في مادتها بالمقالات والأحاديث الاجتماعية والسياسية ، ولكنه استلهم في أسلوبها المقامات وبعض شخصيات التراث حيث استخدم شخصية سطيح وهو كاهن بني ذئب في الجاهلية ليجري على لسانه ما يريد أن يقدم من آراء .

ومن أهم الأعمال القصصية التي استلهمت التراث (حديث عيسى بن هشام) لمحمد المويلحي ، والذي يمكن اعتباره رواية أخذت طريقاً تهذيبياً يهدف إلى تبصير المواطنين بطائفة من عيوبهم ليعدلوا من سلوكهم ، وعلى هذا يكون العمل رواية تهذيبية ذات طابع اجتماعي .

كما يمكن اعتباره رواية أخذت طريقاً اجتماعياً يرمي إلى تصوير ما في المجتمع من مفارقات ، ورسم ما بين جيل المؤلف والجيل السابق من اختلافات ، وتوضح ما بين المجتمع الشرقي والمجتمع الغربي من تباين .

هذا العمل له جانب يشده لبعض الأشكال الأدبية في تراثنا العربي وهو شكل المقامة - مقامة بديع الزمان الهمداني - ويتضح ذلك من خلال عدد من النقاط :

- ١ . من العنوان الذي وضعه المؤلف لقصته " حديث عيسى بن هشام "
- ٢ . استخدام السجع في لغة السرد والوصف التي يحكيها عيسى بن هشام في عمل المويحي هي ذاتها كما كان يحكيها في مقامات بديع الزمان الهمداني .
- ٣ . بالإضافة إلى اشتراك العاملين في عدم استمرار الشخصيات واختفاء كثير منها بانتهاء الفصل الذي يتحدث عنها .
- ٤ . اشتراك العاملين في تصوير بعض جوانب البيئة الاجتماعية ومفارقاتها .

الفرق بين المقامة وحديث عيسى بن هاشم لمحمد المويحي :

- ١ . أن المقامة : تتناول موقف بسيط نابع من حدث أو أحداثاً يسيره ، و البطل عادة رجل من الشطار يدور حوله الحدث أو الأحداث اليسيرة ، لا تنمو فيه الشخصية ، ولا تتطور الأحداث ، فلا يراد من المقامة غالباً إلا تقديم حصيلة لغوية غزيرة .
- ٢ . أن حديث عيسى بن هشام : قصة طويلة ، واضحة المعالم ، لها بداية وفيها تطور ينتهي نهاية مقنعة ، والقصة مليئة بالمواقف العديدة المعقدة ، والأحداث الكثيرة المتطورة والشخصيات المتنوعة النامية ، فيها الكثير من العناصر الفنية الروائية كالتشويق و المفاجأة والتعقيد والحل .

على الرغم من اشتغالها على بعض العناصر الفنية إلا أنها لا تعد قصة أو رواية كاملة النضج وذلك للأسباب التالية :

- ١ . عدم استمرار كل الشخصيات ونموها .
- ٢ . التزام السجع في السرد والوصف .
- ٣ . فرض المؤلف ذاته و آرائه على الشخصية في بعض المواقف .
- ٤ . عدم وجود ترابط بين بعض الفصول بشكل في كافي ، بل انفصالها أحياناً بحيث تبدو أشبه بلوحات اجتماعية فكاهية .

القصة الحديثة :

مفهوم القصة :

حكاية مصطنعة مكتوبة نثراً تستهدف استثارة الاهتمام سواء كان ذلك بتطور حوادثها أو بتصويرها للعادات والأخلاق أو بغرابة أحداثها .
فهي مجموعة من الأحداث ، يرويها الكاتب ، وهي تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدة تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة ، تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة ، على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض ، ويكون نصيبها من القصة متفاوتاً من حيث التأثير والتأثير .

الأنواع القصصية :

١. الرواية : هي أكبر الأنواع القصصية حجماً ، وهي غالباً قصة طويلة ، أشخاصها عديدون ، وأحداثها متشابكة ، تعرض من خلالها طباع الشخصيات ، وتحللها في نموها وتكاملها خلال العمل القصصي .

٢. الحكاية : وهي وقائع حقيقية أو خيالية لا يلتزم فيها الحاكي قواعد الفن الدقيقة .

٣. القصة القصيرة : تمثل حدثاً واحداً في وقت واحد ومكان واحد . وهي تصور قطعاً من الحياة ، ويقتصر على حادثة أو بضع حوادث يتألف منها موضوع مستقل بشخصه ومقوماته ، وتصور موقفاً تاماً من حيث التحليل والمعالجة ، والأثر الذي يتركه في المتلقي .

٤. الأقصوصة : وهي أقصر من القصة القصيرة ، وهي تصور البطل في حالة من حالاته وتكون أحداثها قليلة لا تتجاوز هذه الحالة التي تصورها .

٥. القصة : و تتوسط بين الأقصوصة ، غالباً ما تكون متوسطة الحجم تقوم على أشخاص لا تتضح جوانب طباعهم كلها إذ تقوم القصة على جانب من جوانب الشخصية وليس عليها متكاملة .

عناصر بناء القصة :

أولاً : الحدث .

ويقصد به الواقعة أو سلسلة الوقائع التي تبني عليها القصة ، وهي صلب الحكاية ، ومن المفترض أن تكون أجزاء الحدث مترابطة ، بعضها يفضي إلى بعض ، فتنتهي إلى أثر كلي .

ويتكون الحدث في القصة من بداية ووسط ونهاية ، حيث تمثل البداية الموقف الذي ينشأ عنه الحدث وهي بمثابة التمهيد ، إذ تتضح عناصر الزمان والمكان ، أما الوسط فهو مبني على هذا الموقف ، ويمثل تطويراً له حتى يصل إلى مرحلة الأزمة والتوتر ، ومن ثم يصل الحدث إلى قمة تطوره ، وتجتمع في النهاية كل القوى التي احتواها الموقف ، وفيها يصبح للحدث معنى ..

وطريقة عرض الحدث في القصة :

١. النوع التقليدي : وفيه ترتب الأحداث من البداية ثم تتطور ضمن ترتيب زمني سببي .
٢. الطريقة التي تنطلق من النهاية ثم تعود للقارئ إلى البداية وتعرض الظروف والملابسات التي أدت إلى النهاية .
٣. الطريقة التي يبدأ الكاتب فيها الحوادث من منتصفها ثم يرد كل حادثة إلى الأسباب التي أدت إليها ومن ثم النهاية .

ثانياً : الحبكة .

وهي طريقة تنظيم الأحداث في القصة عن طريق إحكام الربط بين عناصرها ، وربما كان رابط السببية من أهم روابط الحدث ، وقد تلعب الصدفة دوراً مهماً في بعض القصص ، وإن كان لا يجوز الاعتماد عليها وحدها في صنع الحدث ، كما أن عنصر التشويق له أهميته - كذلك - في بناء الحبكة .

والحبكة تأتي على نوعين :

الحبكة المحكمة : وتقوم على حوادث مترابطة متلاحمة تتشابك حتى تبلغ الذروة ثم تنحدر نحو الحل .
الحبكة المفككة : وهنا يورد القاص أحداثاً متعددة غير مترابطة برابط السببية ، وإنما هي حوادث ومواقف وشخصيات لا يجمع بينها سوى أنها تجري في زمان أو مكان واحد .

ثالثاً: الشخصيات :

تعد الشخصية أهم عناصر القصة ، ولا بد أن تكون الشخصية ذات وجود في داخل القصة ، يوهم بواقعيتها ، حتى تقنع القارئ وعلى الكاتب أن يشكل الشخصية من خلال تصويرها ، لا أن يقدم تقريراً عنها.

وللشخصية القصصية أبعاد متعددة : جسدية ونفسية واجتماعية ، وإذا تمكن الكاتب من تشكيلها بهذه الأبعاد ، دل ذلك موهبته وقدرته وبراعته .

أنواع الشخصيات من حيث الظهور في القصة :

- شخصيات رئيسية : تلعب الأدوار ذات الأهمية الكبرى في القصة .
- شخصيات ثانوية : دورها مقتصر مساعدة الشخصيات الرئيسية .

أنواع الشخصيات بحسب الثبات والتطور :

الشخصية الجامدة : وهي الشخصية التي لا يطرأ عليها تغيير على بنيتها النفسية أو الأخلاقية إذ يبقى الشرير شريراً والخير خيراً .

الشخصية النامية : وهي شخصية تتنامى مع الأحداث وتتطور بتطورها . وهي إذ تتفاعل مع هذه الأحداث خفية أو غير خفية ، فإنها تنتهي غالباً بالغلبة أو بالإخفاق .

رابعاً : لحظة التنوير .

وتأتي غالباً في نهاية القصة ، لتضيء الموقف كله ، ولتكتشف عن المغزى الحقيقي للقصة ، وهنا تكمن أهميتها .

خامساً : المغزى .

ما من قصة تروى إلا لتقرر مغزى أو فكرة يقوم عليها بناء القصة ، وهذا المغزى شديد الصلة ببقية عناصر القصة ، والقاص البارع هو الذي يوصل إلينا فكرته أو مغزاه من القصة بطرق غير مباشرة ، فلا يأتي من خارجها ، و لا يلخص في عظة أو حكمة يقحمها اقحاماً على القصة .

سادساً: اللغة :

هي الوسيلة الوحيدة التي يعبر بها الأديب عن نفسه ، ما في القصة من عناصر إنما يتم بواسطة اللغة ، لذا عمد الكاتب إلى استعمال تقنيات لغوية معينة ، فقد يعمد إلى الوصف الخارجي مستعيناً بالحوار الداخلي أو الاسترجاع أو تيار الوعي .

وبما يجمع بين تقنيات متعددة في آن واحد ، بحيث تتعدد خيوط لغته ، وهو ما يعرف اصطلاحاً " بالنسيج " إذ تصبح لغة القصة متداخلة تشبه النسيج الذي تتداخل خيوطه و تتشابك بعضها مع بعض ليكون متيناً .

إن عناصر القصة مرتبط بعضها ببعض ، فالفكرة جزء من الحدث ، وهي أيضاً جزء من الشخصية ، ومن نسيج اللغة ، ومن الزمان والمكان ، إنها تذوب في هذه العناصر جميعاً ، وهي في الوقت ذاته ما تعطيها وحدتها وأثرها الكلي .